Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol.33/ No.7/ 2025 المجلد ٣٣ / العدد ٧/ ٢٠٢٥

المهمشون في رواية "بنات غائب طعمة فرحان" للروائي خضير فليح الزيدي: قراءة ثقافية

زينة حمزه شاكر

كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل

drzeenahamza@gmail.com

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٥/٤/٢٧ **تاريخ قبول النشر:** ٢٣/ ٢٠٢٥/٦ **تاريخ نشر البحث:** ٢٨/ ٧/ ٢٠٢٥

المستخلص:

ثمة طريقة لاشتغال الخطاب الروائي بمختلف مسمياته ومكوناته، حيث تحاول السرديات بأدوات مختلفة، اجرائية أو أدائية على ضبطه ورصد تحولاته في إطار نظري عام وتكمن خصوصية الاشتغال الروائي في (بنات غائب طعمة فرمان) في قراءة الهامش والمسكوت عنه في إطار تجربة روائية في اللامعقول علّه يعيد لبغداد مجدها ونخلها التي تركها فرمان بعد أن هجرها أهلها ومحبوها وينقسم فضاء البحث إلى ما وراء السرد وفضاء التهميش الذي تعانيه شخصياته وأزمة المثقف العراقي مستدرجاً الأحداث وسائحاً في متاهات صعبة للوضع العراقي ليكون الهامش هو المتن السردي الحقيقي في تجربة ذاتية يحاول الزيدي عبرها أن يحاور المثقف في أزماته في فضاء التهميش والتغييب، مما أسهم في كشف تناقضات المركز وتفكيك سطوته لتصبح الكتابة هي رد الفعل والقراءة انتاجاً لخطابات الرد المستمرة.

الكلمات الدالة: فضاء التهميش، غائب طعمة فرمان، المسكوت عنه، الهوية الثقافية، المثقف العراقي، ما وراء السرد.

The Marginalized in the Novel "The Daughters of Gha’ib Tua’ma Farhan" by Khadir Falih Al-Zaidi: A Cultural Reading

Zeina Hamza Shaker

College of Fine Arts /University of Babylon

Abstract

There is a way to engage narrative discourse, with its various designations and components, as narratives attempt, using various tools, procedural or performative, to control it and monitor its transformations within a general theoretical framework. The specificity of the narrative engagement in "The Daughters of Gha’ib Tua’ma Farhan" lies in reading the margin and the unspoken within the framework of a narrative experience of the absurd, hoping to restore Baghdad to its glory and palm trees, which Farman abandoned after its people and loved ones abandoned it. The research space is divided into the metanarrative, the marginalization space suffered by its characters, and the crisis of the Iraqi intellectual, luring events and wandering through the difficult labyrinths of the Iraqi situation. The margin becomes the true narrative body in a personal experience through which Al-Zaidi attempts to engage the intellectual in dialogue about their crises within the space of marginalization and estrangement. This contributes to revealing the contradictions of the center and dismantling its influence, so that writing becomes the reaction, and reading becomes the production of continuous discourses of response.

Keywords: marginalized, Gha’ib Tua’ma Farhan, the unspoken, cultural identity, Iraqi intellectual, cultural implicit.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

مدخل

أصبحت الرواية في الآونة الأخيرة سرداً ثقافياً، إذ تخلت عن فكرتها الأجناسية، بوصفها فناً متاحاً لخطابات دينية، اجتماعية، سياسية، تاريخانية لا يضاهيها في ذلك الا فن المسرح باعتباره وشيجة حية عن الواقع، هي فن تخلص من سيرورته القديمة في وتيرة الأحداث والتصاعد الدرامي إلى اللامعقول والسريالي أحياناً. والى قراءة المسكوت عنه، هو فن يقرأ الواقع ويحاوره ويعيد انتاجه وفق انساق الثقافة المهيمنة ومهما حاول الروائي ان يكون محايداً في خطابه الروائي، لابد ان يمتثل لقراءة الواقع من منظور ثقافي، وطريقة اشتغال الخطاب الروائي بمختلف مكوناته هي ما تعمل السرديات أو السيموطيقيا السردية بأدوات مختلفة على ضبطها ورصدها في إطار نظري عام.

تكمن خصوصية الخطاب الروائي في (بنات غائب طعمة فرمان) في أنه يريد أن يقول شيئاً وفي الوقت نفسه يروي قصة غائب طعمة فرمان وبين محاولة القول والحكي يُنتج الخطاب المفكك لفنتازيا الواقع العراقي، حيث تحكي الرواية قصة عودة الغائب (غائب طعم فرمان) إلى العراق في مشهد درامي فيستعيد دراما موته وهو الذي غيبه الموت عام ١٩٩١في موسكو في كوميديا سوداء فإذا هو حاضر بشخصيات (النخلة والجيران) و(الأم السيد معروف) والمربعة وإذا بغداد الحاضرة الثقافية بكل حمولاتها الاجتماعية، والأنثرولوجية، والحضارية، مهمشة غائبة في دهاليز الموت المعمم وفضاء للفقر والعدم وأناسها غائبون بل مغيبون لتتبعث دلال ابنة البيرقدار بمخطوطة لإكمال رواية لم يتمها الغائب فتدفع بها إلى مؤلف مغمور مهمش (هاني بارت) ليكمل ما بدأه (غائب طعمة فرمان) عله يعيد لبغداد مجدها الآفل ونخلتها التي تركها فرمان بعد أن هجرها جيرانها. وبين فعل القول وفعل الحكي يقلب الزيدي مصائر شخصيات غائب في رحلة اللامعقول للبحث عنه في أزقة بغداد القديمة، فتُستحضَر المناطق بمسمياتها التراثية وكأن هذا الاستحضار بعث لروائيّها الذي غيبه الموت ولكنه حاضر في وجدان مثقفيها.

١- ما وراء السرد بين فضاء التهميش ومتن غائب طعمة فرمان

تجنح روايات خضير فليح الزيدي إلى دراما اللامعقول أحياناً، وهي صفة تكون عامة في أغلب رواياته, فلا تكاد تجد سرداً تصاعديا للأحداث بحبكة متقنة بل يحاول في أغلب الأحيان مسرحة الحدث وهو ينتقل في سرده من شخصيات (غائب طعمة فرمان) في رواياته إلى شخصياته في روايته المحكية، وفي هذا الانتقال يقدم كوميديا سوداء عن الواقع العراقي وهو يحاكي شخصيات فرمان بطريقة ساخرة وهو يسجل في بداية الرواية عودة الغائب إلى العراق وإلى مطار بغداد الدولي تحديداً ليكون أمام أسئلة الضباط في المطار وهو العائد من روسيا وأمام استجواب ضباط المطار لغائب والتحقيق معه بشأن مقتل عبد الرزاق البيرقدار "لقد عاد الرجل- الغائب الحي- من المهجر بعد سماعه خبر موتة المزعوم في الاعلام. وعندما اقيم له مجلس عزاء في مسجد الرحمة حضر نخبة من ابطال رواياته وشريحة من ابناء المربعة للتأكد من موته لا من حياته، وغاب أبطال

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

مخطوطته الأخيرة غير المكتملة (بنات غائب طعمة فرمان) وحسب رواية المحامي جبر الشوك، وكان قد تركها على طاولة الكتابة في غرفة المصنع وغادر البلد"[١: ١٣-١٤].

وينتقل الزيدي إلى ما يمكن ان نسميه بالسرد العجائبي في رحلة تخيلية لمجلس العزاء المقام على روح (الغائب) بحضور شخصيات روايته "على حائط المجلس علقت لافتة قماشي سوداء، خُط عليها: "يشارك ابطال الروايات العربية ابناء عمومتهم من ابطال الروايات العراقية الثماني هذا المصاب الجلل لموت مؤلفها غائب طعمة فرمان (...) والحق انه لا يوجد فقيد ولا وفاة مسجلة رسمياً ولا هم يحزنون، فقد اشبع المؤلف موتاً(...) وكل مجموعة معزين تدخل(مسجد الرحمة) في منطقة(سيد سلطان علي) الاثرية لتتلو سورة الفاتحة بخشوع على روح الفقيد بشخصية في الصف الاول"[١:ص٩].

وقد حضر العزاء شخصيات لروايات عربية في "السمان والخريف، واللص والكلاب، اللاز، متعب الهذال مع عبد الرحمن منيف"[١:ص١١] ويصور الراوي العليم حضور شخصيات غائب طعمة فرمان العزاء في سرد مشهدي "اما حمادي العربنجي فقد بلغ المسجد على حصانه الهرم وكان برفقته (حسين ابن سليمة) وخاجيك، ودبش، ومظلومة، والخالة نشمية، وصاحب، ومصطفى، واسومة العرجاء، وهم فريق رواية النخلة والجيران"[١:ص١٠].

وفي هذه الانتقالات بين فعل السرد وفعل الحكي، يؤسس الزيدي لعوالم حكائية مفتعلة وهو يجعل من شخصيات الهامش في روايات غائب طعمة فرمان ابطالاً لروايته الجديدة "ولم تلبث أسومة أن قالت: دخيلك ياربي! عيش وشوف. سوف تنقلب الدنيا. ولا شايفة بحياتي (فاتحة) رنانة مثلها لك عيني كلهم كبارية اول مرة اشوف فاتحة نسوان وزلم خلط ناس متوفية وناس بعدها. دنيا غريبة وعجيبة!"[١:ص١١].

يأخذنا الزيدي في رحلة التيه المعتادة لعوالم بغداد المظلمة حتى الشخصيات التي اسسها غائب طعمة فرمان تعيش ذلك التخبط في عوالم الزيدي المنبثقة في الفقر والموت العشوائي، شخصيات تعيش على هامش الحياة، ومن قيعان مدنها المظلمة فلم تعد الاماكن تحاكي شهرزاد ولم تعد شوارع الرصافة القديمة تناغم ناسها ولربما اختار مدينة المربعة (مدينة الروائي الغائب) كفضاء المدن المهمشة بأناسها "لا اعرف بالضبط بما اجيبك. المربعة جمهورية قديمة جداً فيها اصناف عديدة من البشر يكدحون في بقاعها نهاراً ويرقصون ليلاً وهم سكارى. ثم يتطهرون ليصلوا صلاة الفجر جماعة، وقد تجدهم خلال الصباح يكدحون في شارع الرشيد وعند الضحى يتسولون في عكد الكولات وساعة العصر يشربون الشاي في مقاهي الارصفة المطلة على شارع الرشيد أو في منطقة الفضل أو في شارع الشيخ عمر السهروردي فلو انك بغدادي قح من المفترض ان تعرف تماضر، وحسيناً، وحمادي العربنجي، ومصطفى الدلال، ومرهون السياسي. وربما تجدني في ضمائرهم"[١:ص٢٢].

يبدو ان خروج السرد في المعتاد الحكائي إلى طابع عجائبي يأتي في سياق أحداث الحرب وانعكاساتها على الانسان، أو قد تكون من اجل ابراز الحلم المستحيل، وقد يكون للسخرية حيناً آخر، كما يقول الزيدي "سأتابع ايضاً ما حصل لصاحب البايسكلجي، وحمادي العربنجي، في هذه المدينة ربما تحول البايسكلجي إلى سياسي معروف في واحدة من القوى السياسية وهذا امر طبيعي. وفق نظرية التطور حتى (ابن الحولة) من الممكن ان يصبح رجلاً ورعاً وصاحب دين وتقوى وكذلك تماضر قد تغدو سياسية نائبة في البرلمان"[٢: ٢٩٦].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يبدو ان الزيدي قد امن "بوجود معبر سري بين الواقع الحق والواقع المبتدع كان قد سماه في احد حواراته القديمة (لعبة القدر)"[١:ص٣٧].

وبين متن غائب طعمة فرمان وهوامش خضير فليح الزيدي تنشأ قصص وحكايات عوالم بغداد الخفية وحكايات عوائلها لم يلبث الزيدي ان وقع في شرك الهامش والمركز وهو يدون لعائلات بغداد العريقة ومنهم عائلة البيرقدار "كان الرجل كريماً يغدق على المعوزين من الفنانين والادباء منهم حسين مردان والحصيري وكان ذا فضل لا ينكر في طباعة روايات صديقه غائب طعمة فرمان"[١:ص٢٩].

ويدون في لعبة المتن والهامش لروايات الرعيل الاول وهو يتحدث عن دلال ابنة البيرقدار المعروفة في الرواية باسم (قمر الرصافة) فيقول الزيدي: "وكانت ايضاً مثقفة وقارئة ممتازة تواكب مسيرة كتاب الروايات العراقية (...) بدءاً من جيل الرواد عبد الملك نوري، وذو النون أيوب، وفؤاد التكرلي، وعمها غائب طعمة فرمان (...) وعدم اقبالها على شعر الجواهري وعدها قصائده حادة النبرة (...) وميل إلى شعر السياب وحب صميم للشاعر بلند الحيدري"[١:ص٤٩].

ويبدو أن زيارتها إلى بغداد لتقتني بعض الكتاب وهو لم ينسَ ان يغمر في ثنايا سرده أن يبث خطابه السياسي "زيارة بغداد ستمكننا من سرد الفراغات في مكتبتها العامرة وتدعيمها بمجموعة من الروايات الصادرة حديثاً على ان لا تطفح بمآسي الجنود والسيارات المفخخة[١:ص٥٠-٥١].

وباستخدام تقنية الميتا سرد يدفع الروائي بقراءته لحكاية دلال وهي تعود إلى بغداد بدعوة من المحامي جبر الشوك لاستلام ارثها الا انها في الحقيقة تبحث عن الغائب (غائب طعمة فرمان) وفي رحلة البحث يقتنص الروائي بهذه اللعبة اللغوية انهيالات فضاء الهامش بعد ان كانت حاضرة التاريخ "القيامة قادمة لاريب فيها.. وفي بغداد وهي قائمة منذ مدة ولكن على دفعات فأي ساعة في اليوم فجراً كانت أو ظهيرة أو مساءً مفتوحة على كل الاحتمالات العنف والفوضى (...) وبغداد الراهنة لا تشبه اي مدينة اخرى سوى بغداد التاريخ (...) انها مدينة من نار وقيض وفوضى مدينة تنشد السلام وتتواشج على بواباتها البنادق والخوذ)[١:ص٥١].

ولعل الزيدي في استحضاره لهذه الشخصية ان يؤرخ لفضاء متعالٍ من حيث احتلال الروائي غائب طعمة فرمان روايات المتن وكانه في حيلة ميتاسردية يؤرخ لحقبة ذهبية في الفن الروائي فيطرح عن طريقها أعجابه بالمنجز الروائي القديم على اعتبار انه مركز وما سواه هامش أو هو من قبيل الحداثة الروائية الجديدة فهو بنظره "من صناع النماذج العراقية الاصيلة وحاملي لواء الخصوصية البغدادية شأنه شأن فؤاد التكرلي ومهدي عيسى الصقر وباقي رواد الرواية العراقية"[١:ص٥٧].

وتكشف قراءة الزيدي أن هناك نكوص نحو الماضي في الفضاءات وكأن إستحضار الروائي غائب طعمة فرمان اعادت إلى المكان حساسيته القيمية والثقافية فمدينة المربعة التي كان يقصدها فرمان سابقاً لم تعد كما هي إلا أن هناك قفاصة أو لعل المربعة التي اعاد كتابتها الزيدي غير مربعة القفاصة الجديدة [١:ص٥٩].

الرواية في مقترباتها تنحدر نحو ما يسميها الدكتور سمير خليل بالرواية الثقافية أو السرد الثقافي "وفكرة الرواية من خلال السرد تحيل إلى أن كل مكان وكل مدينة بل كل حي له قصته التي تشكل وتحفز بل وتكون سببا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

في وجوده هذا من جانب السرد، أما من جانب السرد الثقافي فهو أن ثقافة المكان هي التي تتشكل بفعل ماهية السرد"[٣:ص٦٧-٦٩].

فها هي بطلة الرواية (قمر الرصافة) بل وحتى الاسم يلوح بفضاء مركزي كان سابقاً "تبحث في وجوة الناس عن صورة غائب فهي تعرف موقع النخلة العالية التي اخذت حيزا كبيرا من رواية النخلة والجيران لكنها لا تعرف الطريق إلى غائب(...) تحولت المربعة من حي سكني إلى حي تجاري صرف والنخلة ما عاد لها وجود. ولعلها اصابها قصف ما فاخترقت أو ازيلت في ظروف غامضة حتى الجيران الذين كانوا رموزاً للمكان غابوا وغاب اثرهم (...) إن ذلك الفضاء الملهم الوارد ذكره في روايات السيد غائب أصبح مجرد اثر بعد عين وقضت فيه من كانت تسمى (قمر الرصافة) وكلها شعورٌ بالخيبة"[٤:ص ٣٧٨].

ولم ينسَ الزيدي أن يكمل المشهد بتدشين قاموس المفردات التي ظهرت مصاحبة لفضاء الهامش من مثل (ضيم، شعور، مصيبة)[٣:ص٧٤].

ويبدو ان الزيدي قد حاول مع كل الانهيارات التي رواها على لسان أبطاله في رحلة البحث المضيء عن (غائب طعمة فرمان) في الامكنة وفي بغداد تحديداً يعود محاولاً التثبت بفسيفساء المدينة القديمة وحكايتها واماكنها على لسان دلال، وكأني بالروائي وضع اسئلة الهامش امام المتن (وتختزل تلك التفاصيل في تصور أعم واشمل يكتنز داخله المكان في فكرة المواطنة والهوية، وعلاقة الهوية بنسق العلاقات التراتبية بين المراكز والأطراف، والبنية والهامش وما يعتمل بين تلك التقاطبات من حراك يؤدي إلى التساؤل حول وضع الذات التي كانت مندمجة في النسق وتحولها تدريجياً إلى هامش"[٣:ص٧٤].

ويبدو ان رحلته في البحث ليست الا بحثاً عن الفضاء البديل، عن الفضاء الاول بأنساقه التعبيرية وحمولاته الثقافية؛ عن بغداد عندما كانت المدن هامشاً وهي المتن، عن وطن غيبته الحروب والسلطة "وعبر هذا الوعي يتشكل المكان بوصفه الغائب الحاضر بمعنى ان غيابه النسبي يعني اندماجه في فكرة المواطنة، ويعني ايضاً تهميشه التأكيد على حالة اشبه بالاغتراب"[٥:ص٢٧٨].

ففي مقابل شخصية دلال الفتاة الثرية الجميلة القادمة من الطرف الاخر يطرح الزيدي شخصية الهامش ممثلاً بشخصية تعيش في القاع أو الهامش شخصية (هاني بارت) ويجد القاريء مفارقة بين الاسم هاني و(بارت) الناقد الفرنسي (رولان بارت) لكن يبدو أن تلك التسمية سخرية تحاكي الواقع المضطرب الذي يعيشه المثقف العراقي، فهو كاتب في آخر سن الشباب يحب شرب الشاي ومشاهدة الأفلام الإباحية وقد حقق مخطوطات تاريخية إلا أن كتاباته فضائحية وهو مخيف يرتدي نظارات طبية تزيد في تقعير وجهه ويلقبه أصدقاؤه بالمسلول[٥:ص٢٧٨].

يرتبط هذا المثقف بجماعة لغوية تنتصر لفصاحة اللغة اطلقت على نفسها جماعة (بيتنا ونلعب بيه) وفي شارع المتنبي حيث هذا الشارع له جدارياته ومكان اشهار لتخوم الثقافة ومعلماً من معالم بغداد ويسعى الزيدي عبر بطله إلى الاعتماد على العوالم الافتراضية وتمثيلاتها فتتحول مفرداتها الصورية إلى سلوكيات يلوذ بها هاربا من الواقع ليصبح منطقها السحري والعجائبي حلاً فوق طبيعي لمشكلاته وتغدو عوالمها البديلة نظائر وهمية فوق المكان والزمان المعيش.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يعيش هذا الكاتب المخمور من "فقراء الرواية الجديدة أو من اولئك الناشطين في جمعية بيتنا ونلعب بيه باستثناء جماعة البطالة الساخرة التي أدمن المنتسبون اليها مدح الكسل وأكل الفلافل الرخيصة وشرب الخمرة"[٣: ص٨٠].

اما الاخرون فقد اطلقوا عليه (ذبانة الميدان، طاووس العدم، صرصور المجاعة)[٣:ص٧٩].

وقد اشار الزيدي في مقابل (هاني بارت) المثقف المخذول وجماعته اللغوية تبرز إلى السطح ومن القاع مثقفون جدد يدّعون الثقافة أو الثقافة الجديدة يؤرخها الشارع العراقي فقد برزت بعد تغير جغرافيا المكان حيث اتخذت هذه الجماعات من الميدان والباب الشرقي مقراً ومستودعاً لها، يقترب الزيدي من الهامش في واقعة الثقافي وهو يعري الواقع في صورة فكاهية محاولاً مسرحة الحدث، هاني بارت ذلك الكاتب المخذول.

يطرح الزيدي وبتقنية الميتاسرد قراءة لفضاء التهميش ومثقفيها المهمشون فهؤلاء منسيون ومبعدون "وهم المعدمون عديمو التأثير في المجتمع لتُفنيهم الخمرة والحبوب المخدرة والـــ...؟"[٣:ص٨١– ٨٥] واصدقاء هاني بارت هم احد الصعاليك من جماعة الرصيف (حسن نفخة) الملقب بـــ (راوندي الرصافة) وهو يحمل عربة بضائع رخيصة على طول شارع الكفاح, وقدر ادرك هذا المثقف أن حياة الجوع والافلاس هي الطريق لحرية الفكر[٣:ص١٠٤]. وكان يسكن في منطقة عشوائية تدعي حواسم الشعلة وعلب الزيت المصفحة تدعم الأبواب وصفائح الجينكو هي السقف[٣:ص١١٢–١٢٠].

وهنا "لا تكف فكرة التهميش عندئذ من ان ترتبط بالحضور المكمل للذات في المركز فتغدو تصورات الذات لنفسها مرتبطة بوعيها بالآخر وحينها يتماس التهميش مع تخيلات العلاقات الاجتماعية"[٣:ص١٣٦] وبلعبة سردية يتقمص الروائي شخصية هاني بارت ويرتب المحامي لقاءً بين دلال وهاني بارت في رحلة بحثها عن غائب طعمة فرمان وعندما تيأس في الحصول على مبتغاها تدفع بمخطوطة إلى هاني بارت وهي عبارة عن رواية لم يكملها العم (غائب طعمة فرمان) ليكمل كتابتها.

يقترب الروائي من الهامش في واقعة الثقافي وهو يعري الواقع بصورة ساخرة عبر حوار بين الهامش ممثلاً بـــ (هاني بارت) و(دلال) أو دلو كما كان يناديها فيقول لها: "في بيوتنا تلك لا نفكر في النوم بل في سلامة الرأس من الرصاص الطائش هناك عقد الواقع اتفاقاً مع الكوابيس بقتل احلامنا"[٥:ص٢٧٩] ومن مبدأ أن "الكتابة الروائية هي فعل تحويل يبتدع تقنيات مختلفة كالنسج والتكرار والانشادات الكاذبة والتلفيقات البيوغرافية ومزج الاتوبيوغرافي والتاريخي بالتخيلي وصيغ المزحة الفكرية واللعب بكتابات الاخرين والتجاهل الحدود بين أجناس الخطاب وصيغ اخرى تختصر المسافة بين الرواية وغيرها من اشكال التعبير الادبي"[٣:ص١٣٦] فاختيار الزيدي لروايته ان تكون رواية الهامش سواء من حيث موضوعها أو من حيث شخصياتها فالزيدي عبر الراوي يستدعي أحداثاً لها خصوصية روائية على شكل لوحات سردية صغيرة مرتبطة بوجود السارد الراوي بضمير الاناء أو الشخصيات التي تم استدعائها في روايات غائب طعمة فرمان والذي يلقبه بـــ(الغائب) وبتقنية الميتاسرد استطاع إيهام المتلقي بأن ما يقدمه سيرة ذاتية لحياة الروائي غائب طعمة فرمان الذي مات في العام ١٩٩١ في روسيا ساعده في ذلك استخدام ضمير الأنا مرة وضمير الغائب مرة اخرى لكن الحقيقة ان الروائي عبّر عن وجهة نظره فيما يخص قضايا لها صلة بواقعنا السياسي والاجتماعي ثقافياً عبر ذوات مهشمة ومهمشة سواء ما يتعلق

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بشخصياته أو شخصيات غائب طعمة فرمان يحاكي في ذلك "اختيارات المثقف الكاتب وهو يعيش حصارين خارجي وداخلي ويمارس دوره كانسان ومثقف من الخارج حين يصير على فعل الكتابة والحوار مستدرجاً الأحداث, وسائحاً في متاهات صعبة للوضع العراقي الاول هو الفعل الدرامي المفتوح على الحدث في المتن والاخر هو الطريق السردي الذي تركز فيه الحدث المركزي الذي انطلق من الهامش ليكون الهامش هو المتن السردي الحقيقي، وهو يقدم الأحداث طبقاً لوعي شخصياته هي تعيش ازمة وجودها"[٦:ص١٤٣]. فيخاطب دلال "انهم نسخ من هاني بارت لا يجيدون غير التفلسف والجدال ويرون ان كل مشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية مأتاها اللغة"[٧:ص٢١٢-٢١٣].

يمكن أن نصنف رواية الزيدي (بنات غائب طعمة فرمان) بأنها خطاب مفتوح لا يتقيد بالمعايير التقليدية ولا يتضمن حبكة من أي نوع كان، ولا يعنى بتركيب عالم متعدد المستويات لشخصياته "وبالأخص الراوي الذي يتوقع المتلقي ان يكون محور الاهتمام واخيراً فهو يتخطى بسهولة بالغة الادعاء المزمن في نصوص السرد العربي الذي يقول بوجود رسالة من نوع ما يريد النص ابلاغها"[٣:ص١٥٠].

وقد عمد الزيدي ومن فكرة جماعة (بيتنا ونلعب بيه) أو جماعة (الميدان) اللغوية المناوئة عبر حيلة لغوية سردية إلى "توجيه نقد لاذع للذات على اعتبار ان الانتماء إلى الجماعة يمنح قدرة هائلة لنقد الذات وما كان له ان يحقق ذلك لولا حدوث انزياح لوعيه وهو تمثيل الذات الجماعية انطلاقاً من وعي شفاهي مستنسخ من ذوات التاريخ المتعالي برأس مال رمزي على بقية الذوات، هذا الانزياح عن موقع التمثيل كان نتيجة بروز وعي كتابي فردي تبلور عن البعد المساهم في بناء الهوية الثقافية للذات الجماعية"[٨:ص٢٠٧].

ان السرد في بنات غائب طعمة فرمان هو بداية لرحلة البحث عن الذات في عراق ما بعد ٢٠٠٣ وما قبله كانت بداية لعلاقته بوجودها وكينونتها وبتاريخها الذي تعيشه استردادياً فكان المضمر هو دافع البحث[٣:ص١٥٢]. ومحاولة الدخول مع شخصيات غائب طعمة فرمان هي رحلة بحث عن الذات التي تبحث عن مكان لها في عالم فوضوي سريالي عبثي يدفع الروائي بـــ(دلال) لتحيك خيوط سرده فتدفع بالرواية غير المكتملة (المخطوطة) إلى هاني بارت[٣:ص٢٠٩].

ليختم الزيدي روايته بمحاورة طريفة بين غائب طعمة فرمان واحدى شخصياته (سليمة) ومن وراء عالم السرد أراد الزيدي أن يقول لنا أنّ "بغداد صارت ظلمة وراك والمربعة مثل ليلة الوحشة نخلتك يتيمة وتبجي دم. من يوم عافها الجيران ماكو طعم بعد لكل شيء بالحياة"[٣:ص١١٦].

شكل حوار الزيدي مع الروائي غائب طعمة فرمان نوعاً من العلاقة الحوارية المتداخلة بين اللغات وتمثلت في إدارته للحوارات الايدولوجية والثقافية غير المباشرة مما شكل انفتاحاً نصياً[٣:ص١١٧] وشكلت الرواية نصاً موازياً يقع تحت طائلة الرد بالكتابة, هي نوع من الكتابة المواربة أو المناهضة بهدف الكشف والتعرية اتكاء على نص مضاد ومقاوم[٩:ص٢١١].

ويبدو ان شخصيات الزيدي سعت إلى "بناء عوالم مواز لثقافة المركز يتمثل ذلك في سعي الحركات المهمشة إلى تشكيل ثقافة خاصة بها تشتمل على ابطال ورموز ثقافية وحكايات ونوادر"[١٠:ص٨٣-٨٤].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فجعل من فعل الاقصاء المسلط على الحركات الهامشية سبيلاً لفقدها الفاعلية الاجتماعية وجعلها تعيش على هامش الحياة مما جعل من خطابها خطاباً سجالياً مبنيا على مخالفة، وفكاهة، ولا معقول، في سرد غرائبي من شأنه ان يميط اللثام عن اماكن بالغة التعقيد وكشف عن تناقضات المركز وأسهمت في تفكيك سطوته وكسر نواميسه الصارمة، لتصبح الكتابة هي رد الفعل والقراءة انتاجاً لخطابات الرد المستمرة .[٥:ص٣٧٧].

نتائج البحث

1. يؤسس الزيدي لعوالم حكائية مفتعلة وهو يجعل من شخصيات الهامش في روايات غائب طعمة فرمان ابطالاً لروايته الجديدة.
2. يمارس خضير فليح الزيدي رحلة التيه السردي فتعيش شخصياته حالته من التخبط في عوالم الفقر والموت العشوائي.
3. خرج السرد في بعض جوانبه إلى طابع عجائبي يأتي في سياق أحداث الحرب وانعكاساتها على الانسان العراقي.
4. يقتنص الروائي عبر لعبة الميتاسرد انهيالات فضاء الهامش فيعقد مقارنة بين بغداد الامس وبغداد اليوم وكأنه يؤرخ لحقبة ذهبية.
5. ثمة اشارة إلى الرواية الثقافية أو السرد الثقافي فثقافة المكان تشكلت عبر ماهية السرد.
6. يقترب الزيدي من الهامش في واقعه الثقافي وهوم يعري الواقع في صورة فكاهية محاولاً مسرحة الحدث.
7. يشكل السرد في الرواية بداية البحث عن الذات في عراق ما بعد ٢٠٠٣ وما قبله كانت بداية لعلاقته بوجودها وكينونتها وتاريخها الذي تعيشه استردادياً.
8. جعل من فعل الاقصاء المسلط على الهامش سبيلاً لفقدها الفاعلية الاجتماعية وجعلها كائنات تعيش على هامش الحياة مما جعل من خطابها خطاباً سجالياً مبني على الفكاهة واللامعقول.
9. أصبحت الكتابة نوعاً من رد الفعل والقراءة انتاج لخطابات السرد المستمرة.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر

[1] بنات غائب طعمة رواية خضير فليح الزيدي، الطبعة الأولى جوان ٢٠٢٣، مطبعة ميسكلياني.
[2] القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب.د.سعيد يقطين الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
[3] خطاب الاعتراف نحو بديل تركيبي في تحليل الرواية، رواية محمد جليد، رية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٩.
[4] دليل مصطلحات الدراسات الثقافية، د.سمير الخليل، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق،٢٠٢٢، ط٢.
[5] في بلاغة المقموعين كتاب جماعي محكم تنسيق أ.د.محمد مشبال– ٢٠٢٣. دار كنوز للمعرفة والنشر والتوزيع. د. علي البوجديدي، ط١ ٢٠٢٤.
[6] السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، عبد الرحمن النوايتي، ٢٠١٦،ط١، دار كنوز للنشر والتوزيع، عمان.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[7] دراسات ثقافية د سمير الخليل /طانية حطاب، بغداد، دار ضفاف للنشر،ط١، ٢٠١٨.
[8] السرد والاعتراف والهوية عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: ٢٠١١، ط١.
[9] النص المقترح في النقد العربي الحديث– دراسات نقدية دار الشؤون الثقافية العامة بغداد– ٢٠٢٤، عزيز حسين علي الموسوي.
[10] الخطاب النقدي ما بعد الكولينالي عند مصطفى الاشرف د.زكية– دار كنوز للنشر والتوزيع–ط١، ٢٠٢٢.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq